

ذِكْرُ مَبْعَثِهِ ﷺ

قال الزُّهري، عن عُرْوَةَ، عن عائشة، قالت^(١) : أَوَّلُ ما بُدِيَ به النَّبِيُّ ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ثم حُبَّبَ إليه الخلاء، فكان يأتي حِراءَ فيتحنَّثَ فيه، أي: يَتَعَبَّدُ اللَّيالي ذوات العَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى فَجَأَهُ الحَقُّ وهو في غار حِراءَ، فجاءه المَلَكُ فقال: اقرأ، قال: فقلت: ما أنا بقارىءٍ. فأخذني فَغَطَّنِي حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىءٍ. فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىءٍ. فأخذني الثالثة حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق] قالت: فرجع بها ترجفُ بوادره^(٢) حتى دخل على خديجة فقال: زَمَّلُونِي. فرمَّلوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْعُ فقال: يا خديجة ما لي! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيتِ عليَّ. فقالت له: كلاً أبشر فَوَاللَّهِ لا يُخزِيكَ اللهُ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتحمل الكَلَّ، وتُعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمِّها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان أمراً تنصَّره في الجاهلية، وكان يكتب الخطَّ العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي. فقالت: اسمع من ابن أخيك. فقال: يا ابن أخي

(١) أخرجه البخاري ٣/١ و ١٨٤/٤ و ٢١٤/٦ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٣٧/٩، ومسلم ٩٧-٩٨ وغيرهما. وانظر طبقات ابن سعد ١/١٩٤، وابن هشام ١/٢٣٤.

(٢) أي: ما ييدر من الرجل عند غضبه، وهي لحمة بين المنكب والعنق.

ما ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً حين يُخرِجُك قومك، قال: أو مُخرجي هم؟ قال: نعم، إنه لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

فروى الترمذي^(١)، عن أبي موسى الأنصاري، عن يونس بن بكير، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: سئل النبي ﷺ عن ورقة، فقالت له خديجة: إنه - يا رسول الله - كان صدقك، وإنه مات قبل أن تظهر. فقال: «رأيت في المنام عليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك». وجاء من مراسيل عروة أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت لورقة جنة أو جنتين».

وقال الزُّهري، عن عروة، عن عائشة: «وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وغدا مراراً يتردى من شواهد الجبال، وكلما أوفى بذروة ليلقي نفسه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك. رواه أحمد في «مُسنده»^(٢)، والبخاري^(٣).

وقال هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين.

(١) الترمذي (٢٣٩٠).

(٢) أحمد ٦/٢٣٣.

(٣) البخاري ٨/٣٧-٣٨.

رواه البخاري (١) .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيّب، قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وأربعين سنة، فمكث بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا (٢) .

وقال محمد بن أبي عديّ، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرنَ نبوته إسرائيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرنَ نبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين (٣) .

أخبرنا أبو المعالي الأبرقوهي، قال: أخبرنا عبد القويّ بن الجباب، قال: أخبرنا عبدالله بن رفاعة، قال: أخبرنا عليّ بن الحسن الخليفيّ، قال: أخبرنا أبو محمد بن النّحاس، قال: أخبرنا عبدالله بن الورد، قال: أخبرنا عبدالرحيم بن عبدالله البرقيّ، قال: حدثنا عبدالملك بن هشام، قال (٤) : حدثنا زياد بن عبدالله البكائيّ، عن محمد بن إسحاق، قال: كانت الأخبار والرّهبان وكهّان العرب قد تحدّثوا بأمر محمد ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه، أمّا أهل الكتاب فعَمّا وجدوا في كُتُبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان عهد إليهم أنبياءهم من شأنه، وأمّا الكهّان فأتتهم الشياطين بما استرقت من السّمع، وأنها قد حُجبت عن استراق السّمع ورُميت بالشُّبّه. قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَحْدُ لَهُ إِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن] فلما سمعت الجنُّ القرآن

(١) البخاري ٥٦/٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/١٩٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/١٩١ .

(٤) ابن هشام ١/٢٠٤ .

من النبي ﷺ عرفت أنها مُنعت من السَّمع قبل ذلك، لثلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس الأمر، فأمنوا وصدّقوا وولّوا إلى قومهم منذرين.

حدثني يعقوب بن عُتبة أنه بلغه أنّ أوّل العرب فرع للرمي بالنّجوم ثقيف، فجاؤوا إلى عمرو بن أميّة وكان أدهى العرب، فقالوا: ألا ترى ما حدث؟ قال: بلى، فانظروا فإن كانت معالم النّجوم التي يُهتدى بها وتُعرف بها الأنواء هي التي يُرمى بها، فهي والله طيُّ الدُّنيا وهلاك أهلها، وإن كانت نجوماً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا أمرٌ أراد الله به هذا الخلقَ فما هو (١).

قلت: روى حديث يعقوب بنحوه حُصين، عن الشعبي، لكن قال: فأتوا عبدَ يا ليلَ بن عمرو الثَّقفي، وكان قد عمي.

وقد جاء غيرُ حديثٍ بأسانيدٍ واهيةٍ أنّ غيرَ واحدٍ من الكُهّان أخبره رَئِئِه من الجنِّ بأسجاعٍ ورجزٍ، فيها ذكرُ مبعث النبي ﷺ وسُمع من هواتف الجنّ من ذلكُ أشياء.

وبالإسناد إلى ابن إسحاق (٢)، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجالٍ من قومه، قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهُداه لنا، أنّا كنّا نسمع من يهود، وكنّا أصحابَ أوّثان، وهم أهل كتاب، وكان لا يزال بيننا وبينهم شُرُور، فإذا نلنا منهم قالوا: إنّهُ قد تقارب زمان نبي يُبعثُ الآن نقتلكم معه قتلُ عادٍ وإرمَ، فكُنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم، فلمّا بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا، وعرفنا ما كان يتوعدونا به، فبادرناهم إليه، فأمنّا به وكفروا به، ففي ذلك نزل:

(١) ابن هشام ٢٠٦/١.

(٢) ابن هشام ٢١١/١.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة] الآيات .

حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة بن سلامة بن وقش، قال: كان لنا جارٌ يهوديٌّ، فخرج يوماً حتى وقف على بني عبدالأشهل، وأنا يومئذٍ أحدُهُم سنًا، فذكر القيامة والحساب والميزان والجنة والنار، قال ذلك لقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثاً بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، أو ترى هذا كائناً أن الناس يُبعثون! قال: نعم. قالوا: فما آية ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا حَدِّثُ فقال: إن يستنفذ هذا الغلامُ عمره يُدرکه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ وهو حيٌّ بين أظهرنا، فأمنا به، وكفَّرَ به بغيًّا وحسدًا، فقلنا له: ويحك يا فلان، ألسْتَ بالذي قلتَ لنا فيه ما قلت! قال: بلى، ولكن ليس به^(١).

حدثني^(٢) عاصم بن عمر، عن شيخ من بني قُرَيْظَةَ، قال لي: هل تدري عمَّ كان الإسلام لثعلبة بن سَعِيَّة، وأسيد بن سَعِيَّة، وأسد بن عُبَيْد، نفر من إخوة بني قُرَيْظَةَ، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قلت: لا والله، قال: إن رجلاً من يهود الشام يقال له ابن التيهان^(٣) قدِم علينا قبل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمسَ أفضل منه، فأقام عندنا فكان إذا فحط عتاً المطر يأمرنا بالصَّدقة ويستسقي لنا، فوالله ما يبرح من مجلسه حتى نُسقى، قد فعل ذلك غير مرَّتين ولا ثلاث، ثم حَضَرته الوفاة، فلما

(١) ابن هشام ٢١٢/١ .

(٢) ابن هشام ٢١٣/١ .

(٣) هكذا هو مجود بخط المؤلف، وفي سيرة ابن هشام: «الهيَّان» .

عرف أنه ميتٌ قال: يا معشر يهود ما تَرَوْنَهُ أخرجني من أرض الخمر والخمير، إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: إنما قَدِمْتُ أَتَوَكَّفُ خروج نبيٍّ قد أظل زمانه، وهذه البلدة مُهاجره، فكنت أرجو أن يُبعث فاتبعه، وقد أَظَلَّكُمْ زمانه، فلا تُسَبِّقَنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بُعث محمد ﷺ وحاصر خيبر قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قُرَيْظَةَ، والله إنه للنبيِّ الذي كان عَهْدَ إِلَيْكُمْ فيه ابن التيهان. قالوا: ليس به، فنزل هؤلاء وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم.

وبه، قال ابن إسحاق^(١): وكانت خديجة قد ذكرت لعمها وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ، وكان قد قرأ الكتبَ وتنصّر، ما حدّثها ميسرة من قول الرّاهب وإضلال الملكين، فقال: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إنّ محمداً لنبيُّ هذه الأمة، وقد عرفتُ أنّ لهذه الأمة نبياً يُنْتَظَرُ زمانه، قال: وجعل وَرَقَةَ يستبطن الأمرَ ويقول: حتى متى، وقال:

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجاً لهم طالما بعث النّسيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتّين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس من الرّهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود قوماً ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتني إذا ما كنت ذاكم شهدت فكنت أولهم ولوجا

(١) ابن هشام ١/١٩١.

فإن يَبْقَوْا وَأَبْتَقَ تَكُنْ أُمُورٌ يَضُجُّ الكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجًا
 وقال سليمان بن مُعَاذِ الضَّبِّي، عن سِمَاك، عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ،
 قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِمَكَّةَ لَحَجْرًا كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ لِيَالِي بُعِثْتُ
 إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ». رواه أبو داود^(١).

وقال يحيى بن أبي كثير: حدثنا أبو سلمة، قال: سألت جابراً: أيُّ
 القرآن أنزل أول ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ [المدثر] أو ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق]؟ فقال: ألا أحدثكم بما حدثني به رسول الله ﷺ؟ قال: إني
 جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جوارِي نزلت فاستبطنت الوادي
 فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، فلم أر شيئًا، ثم
 نظرت إلى السماء، فإذا هو على عرش في الهواء، يعني الملك،
 فأخذني رجفة، فأتيته خديجة، فأمرتهم فدثروني، ثم صبوا علي الماء،
 فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ ﴿فَرَأَيْنَا﴾ [المدثر].

وقال الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ
 يحدث عن فترة الوحي، قال: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من
 السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على
 كرسي بين السماء والأرض، فحُيِّتُ منه رعباً، فرجعت، فقلت:
 زملوني فدثروني، ونزلت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ [المدثر] إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ
 فَاهْجُرْ﴾ [المدثر] وهي الأوثان. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢). وهو نص في أنّ
 ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ نزلت بعد فترة الوحي الأول، وهو ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ فكان
 الوحي الأول للنُّبُوَّةِ والثاني للرسالة.

(١) هكذا قال، وما أظنه إلا وهماً، فإن أبا داود لم يخرج هذا الحديث، وإنما
 أخرجه أحمد ٥/٨٩ و ٩٥ و ١٠٥، والدارمي ٢٠، ومسلم ٧/٥٨، والترمذي
 (٣٦٢٤).

(٢) البخاري ٦/٢٠١، ومسلم ١/٩٩.

فأوّل من آمن به خديجة رضي الله عنها

قال عزّ الدين أبو الحسن ابن الأثير^(١) : خديجة أوّل خلق الله أسلم بإجماع المسلمين ، لم يتقدّمها رجلٌ ولا امرأة .

وقال الزُّهري ، وقتادة ، وموسى بن عُقبة ، وابن إسحاق ، والواقدي ، وسعيد بن يحيى الأموي ، وغيرهم : أوّل من آمن بالله ورسوله : خديجة ، وأبو بكر ، وعليّ .

وقال حسان بن ثابت وجماعة : أبو بكر أوّل من أسلم .

وقال غير واحدٍ : بل عليّ .

وعن ابن عباس : فيهما قولان ، لكن أسلم عليّ وله عشرُ سنين أو نحوها على الصحيح ، وقيل : وله ثمان سنين ، وقيل : تسع ، وقيل : اثنتا عشرة ، وقيل : خمس عشرة ، وهو قولُ شاذّ ، فإنّ ابنه محمداً ، وأبا جعفر الباقر ، وأبا إسحاق السَّبَّعي وغيرهم ، قالوا : تُوفِّي وله ثلاث وستون سنة . فهذا يقضي بأنه أسلم وله عشر سنين ، حتى إنّ سُفيان بن عُيينة روى عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، قال : قُتِلَ عليّ وله ثمان وخمسون سنة .

وقال ابن إسحاق^(٢) : أوّل ذكّر آمن بالله علي رضي الله عنه ، وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم زيد مولى النبي ﷺ ، ثم أسلم أبو بكر .

وقال الزُّهري : كانت خديجة أوّل من آمن بالله ، وقبل الرسول

(١) الكامل في التاريخ ٥٧/٢ .

(٢) ابن هشام ٢٤٥/١ .

رسالة ربّه وانصرف إلى بيته، وجعل لا يمرّ على شجرة ولا صخرة إلا سلّمت عليه، فلما دخل على خديجة قال: أرايتك الذي كنت أحدثك أنّي رأيته في المنام، فإنه جبريل استعلن لي، أرسله إليّ ربي، وأخبرها بالوحي. فقالت: أبشّر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حقّ، ثم انطلقت إلى عدّاس غلام عتبة بن ربيعة، وكان نصرانياً من أهل نينوى فقالت: أذكرك الله إلا ما أخبرني، هل عندك علم من جبريل؟ فقال عدّاس: قُدّوس قُدّوس. قالت: أخبرني بعلمك فيه. قال: فإنه أمينُ الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى، وعيسى عليهما السلام. فرجعت من عنده إلى ورقة. فذكر الحديث.

وقد رواه ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير بنحو منه، وزاد: ففتح جبريل عيناً من ماء فتوضّأ، ومحمد ﷺ ينظر إليه، فوضّأ وجهه ويديه إلى المرفقين، ومسح رأسه ورجليه إلى الكعبيين، ثم نضح فرجه، وسجد سجديتين مواجه البيت، ففعل النبي ﷺ كما رأى جبريلَ يفعل^(١).

(١) وانظر ابن هشام ٢٤٤/١.

من معجزاته الأول

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق^(١) : حدثني عبد الملك بن عبدالله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثَّقَفِي، عن بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالثبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سَلَّمَ عليه وسمع منه، وكان يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة ينسك فيه .

وقال سِمَاك بن حرب، عن جابر بن سَمُرَةَ: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلَّم عليّ قبل أن أُبعث». أخرجه مسلم^(٢) .

وقال الوليد بن أبي ثور وغيره، عن إسماعيل السُّدِّي، عن عبَّاد بن عبدالله، عن عليّ رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجرٌ ولا جبلٌ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله . أخرجه الترمذي^(٣) ، وقال: غريب .

وقال يوسف بن يعقوب القاضي: حدثنا أبو الربيع، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو خارج من مكة، قد خَصَبَهُ أهل مكة بالدماء، قال: ما لك؟ قال: خضبني هؤلاء بالدماء ففعلوا وفعلوا،

(١) ابن هشام ١/٢٣٤ .

(٢) مسلم ٧/٥٨ .

(٣) الترمذي (٣٧٠٥) .

قال: تريدُ أن أريكَ آيةَ؟ قال: نعم. قال: ادعُ تلكَ الشجرة. فدعاها رسولُ الله ﷺ، فجاءت تخطُّ الأرضَ حتى قامت بين يديه، قال: مُرَّها فلترجعْ إلى مكانها. قال: ارجعي إلى مكانكِ فَرَجَعَتْ، فقال رسولُ الله ﷺ: حسبي. هذا حديثٌ صحيحٌ (١).

وقال ابنُ إسحاق (٢): حدثني وهبُ بنُ كيسان، قال: سمعتُ عبد الله بنَ الزُّبير يقول لعُبَيد بنِ عُمير بنِ قَتادة اللَّيثي: حَدَّثَنَا يَا عُبَيدُ اللَّهِ (٣) عن كيف كان بَدْءُ ما ابتدءَ به رسولُ الله ﷺ من النَّبوة حين جاءه جبريل. فقال عُبيد بنُ عُمير: كان رسولُ الله ﷺ يجاور في حِراءَ من كلِّ سنة شهراً، وكان ذلك ممَّا تتحنَّث به قريشُ في الجاهلية. والتحنَّثُ التبرُّر.

قال ابنُ إسحاق (٤): فكان يجاور ذلك في كلِّ سنة، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره، كان أول ما يبدأ به الكعبة، فيطوف ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله كرامته، وذلك الشهر رمضان، خرج ﷺ إلى حِراءَ ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالته، جاءه جبريل بأمر الله تعالى. قال رسولُ الله ﷺ: «جاءني وأنا نائمٌ بنمطٍ من ديباجٍ فيه كتاب، فقال: اقرأ. قلت: ما اقرأ؟ قال: فَغَتَّني (٥) به حتى ظننتُ أنَّه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: وما اقرأ؟ فَغَتَّني حتى ظننتُ أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: وما اقرأ؟ ما أقول ذلك إلاَّ افتدَاءً منه أن يعود لي

(١) أخرجه أحمد ١١٣/٣، والدارمي (٢٣)، وابن ماجه (٤٠٢٨).

(٢) ابن هشام ١/٢٣٥.

(٣) هكذا في الأصل، ولعل هذا من خطاب ابن الزبير له، وإلا فاسمه: «عبيد» حسب.

(٤) ابن هشام ١/٢٣٦.

(٥) أي: عصرتني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة.

بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿أَفَرَأَى بِأَسْرَارِكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق]، فقرأتها ثم انتهى عني، وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً». في هذا المكان زيادة، زادها يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، وهي: ولم يكن في خلق الله أحدٌ أبغض إليّ من شاعرٍ أو مجنونٍ فكنت لا أطيقُ أنظر إليهما، فقلت: إنَّ الأبعد، يعني نفسه، لشاعرٌ أو مجنون، ثم قلت: لا تَحَدِّثْ عني قريش بهذا أبداً، لأعمدن إلى حالي من الجبل، فلا طرحن نفسي فلاستريحن، فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل، سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا جبريل في صورة رجلٍ صافٍ قدميه في أفق السماء، فقال: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفتُ أنظر إليه، فما أتقدّم ولا أتأخّر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلّا رأيتَه كذلك، فما زلت واقفاً حتى بعثت خديجةً رُسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك. ثم انصرف عني، فانصرفت إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها^(١) فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا. ثم حَدَّثْتُهَا بالذي رأيتُ، فقالت: أبشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنِّي لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة^(٢).

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان قد تَصَرَّ وقرأ الكتب، فأخبرته بما رأى وسمع، فقال ورقة: قُدُوسٌ قُدُوسٌ، والذي نفسي بيده لئن كنتِ صدقت يا

(١) أي: ملتصقاً بها.

(٢) ابن هشام/١-٢٣٧-٢٣٨.

خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولني له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى جواره طاف بالكعبة، فلقيه ورقة وهو يطوف فقال: أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبتنه ولتؤذنه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرك الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

وقال موسى بن عقبة في «مغازيه»: كان ﷺ فيما بلغنا أول ما رأى أن الله أراه رؤيا في المنام، فشق ذلك عليه، فذكرها لخديجة، فعصمها الله وشرح صدرها بالتصديق، فقالت: أبشر. ثم أخبرها أنه رأى بطنه شق ثم طهر وغسل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خير فأبشر. ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة، فأجلسه في مجلس كريم معجب كان النبي ﷺ يقول: أجلسني على بساط كهيفة الذنونك^(١) فيه الياقوت واللؤلؤ، فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن.

الذي فيها من شق بطنه يُحتمل أن يكون أخبرها بما تم له في صغره ويُحتمل أن يكون شق مرة أخرى، ثم شق مرة ثالثة حين عرج به إلى السماء.

وقال ابن بكير عن ابن إسحاق، فأنشد ورقة:

إن يكُ حقاً يا خديجة فاعلمي	حديثك إيانا فأحمد مُرسَلُ
وجبريل يأتيه وميكالُ معهما	من الله وحيٌّ يشرح الصدرَ مُنزَلُ
يفوز به من فاز فيها بتوبة	ويشقى به العاني الغويُّ المُظللُ
فسبحان من تهوي الرياحُ بأمره	ومن هو في الأيام ما شاء يفعلُ

(١) ستر له حمل.

وَمَنْ عَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا وَأَقْضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ لَا تُبَدَّلُ
 وقال ابن إسحاق^(١) : حدثني إسماعيل بن أبي حكيم أن خديجة
 قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، إن استطعت أن تُخبرني بصاحبك
 هذا الذي يأتيك إذا جاءك. قال: «نعم». قال: فلما جاءه قال: «يا
 خديجة هذا جبريل». قالت: يا ابن عم قم فاجلس على فخذي اليسرى،
 فقام فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاقعد
 على فخذي اليمنى. فتحول فقعد على فخذهما، قالت: هل تراه؟ قال:
 نعم. قالت: فاجلس في حجري. ففعل، قالت: هل تراه؟ قال: نعم.
 فتحسرت فألقت خمارها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: اثبت
 وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان. قال: وحدثتُ عبد الله بن حسن
 هذا الحديث فقال: قد سمعت أُمِّي فاطمة بنتَ حسين تحدث هذا
 الحديث، عن خديجة، إلا أنني سمعتها تقول: أدخلت رسولَ الله ﷺ
 بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل، فقالت: إن هذا لملك وما هو
 بشيطان.

وقال أبو صالح: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال:
 أخبرني محمد بن عباد بن جعفر المنخزومي أنه سمع بعضَ علمائهم
 يقول: كان أول ما أنزل الله على نبيه: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا
 لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق] فقالوا: هذا صدرها الذي أنزل على رسول الله ﷺ
 يوم حراء، ثم أنزل آخرها بعد بما شاء الله.

وقال ابن إسحاق^(٢) : ابتدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في رمضان،
 قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة]،
 وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا

(١) ابن هشام ١/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) ابن هشام ١/٢٣٩.

أَنْزَلَتْهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ ﴿٣﴾ [الدخان] (١) .

قال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق (٢) ، قال: هَمَزَ جبريلُ بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت عينٌ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صَلَّى ركعتين ورجع، قد أقرَّ الله عينه، وطابت نفسه، فأخذ بيد خديجة، حتى أتى بها العينَ فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم صَلَّى ركعتين هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرّاً، ثم إنَّ علياً جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال عليٌّ: ما هذا يا محمد. فقال: دينٌ اصطفاهُ الله لنفسه وبعث به رُسُلُه فأدعوك إلى الله وحده وكُفِرَ باللات والعزى. فقال عليٌّ: هذا أمر لم أسمع به قبلَ اليوم، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أُحدِّث به أبا طالب. وكره رسولُ الله ﷺ أن يُفشي عليه سرُّه قبل أن يستعلن عليه أمره، فقال له: يا عليّ إن لم تُسلم فإتكم، فمكث عليٌّ تلك الليلة ثم أوقع الله في قلبه الإسلام، فأصبح فجاء إلى رسول الله ﷺ، وبقي يأتيه على خوفٍ من أبي طالب، وكنتم إسلامه .

وأسلم زيد بن حارثة، فمكثا قريباً من شهرٍ، يختلفُ عليٌّ إلى رسولِ الله ﷺ، وكان مما أنعم الله على عليٍّ أنّه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

وقال سَلَمَةُ بن الفضل، عن محمد بن إسحاق (٣) : حدثني عبد الله

(١) كتب المؤلف في حاشية نسخته إضافة لكتّه تنبه إلى أنها قد مرّت فكتب قبالتها «مَرَّ» وهي: «وقال ابن أبي عدي، عن داود، عن عامر الشعبي، قال: أنزلت النبوة على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرأفيل ثلاث سنين يُعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة» .

(٢) وانظر ابن هشام ١/ ٢٤٤ .

(٣) ابن هشام ١/ ٢٤٦ .

ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، قال: أصابت قريشاً أزمةً شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثيرة، فقال النبي ﷺ للعباس عمه - وكان مُوسِراً - إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصابَ الناسَ ما ترى، فانطلق لنخفف عنه من عياله، فأخذ النبي ﷺ علياً، فضمَّهُ إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً فاتبعه عليٌّ وآمن به.

وقال الدَّرَاوَرْدِيُّ، عن عمر بن عبدالله، عن محمد بن كعب القُرْظِيِّ، قال: إنَّ أوَّلَ من أسلم خديجة، وأولَ رجلين أسلما أبو بكرٍ وعلي، وإنَّ أبا بكرٍ أول من أظهر الإسلام، وإنَّ علياً كان يكتُم الإسلامَ فرَقاً من أبيه، حتى لقيه أبوه فقال: أسلَمْتَ؟ قال: نعم، قال: وازر ابن عمِّك وانصُرْه. وقال: أسلم علي قبل أبي بكر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله ابن الحُصَيْن التميمي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ وتردُّدٌ ونظرٌ، إلا أبا بكرٍ، ما عتم^(١) منه حين ذكرته وما تردد فيه».

وقال إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن أبي مسرة أنَّ النبي ﷺ كان إذا برَّرَ، سمع من يناديه، يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هارباً، فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر، وكان نديماً له في الجاهلية^(٢).

(١) كتب المؤلف على حاشية نسخته: «تأخر».

(٢) كتب صلاح الدين الصفدي بخطه المليح على حاشية نسخة المؤلف: «بلغت قراءة خليل بن أبيك في الميعاد الثاني، وسمع منه قصة سلمان الفارسي إلى آخره: محصن بن عكاشة».

إسلام السابقين الأولين

قال ابن إسحاق^(١) : ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة، خرج إلى شعاب مكة ومعه عليّ فيصليان فإذا أمسيا رجعا، ثم إن أبا طالب عبر عليهما وهما يصليان، فقال للنبي ﷺ : يا ابن أخي ما هذا؟ قال: أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ورُسله ودين إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحقّ من بذلت له النصيحة ودعوتّه إلى الهدى وأحق من أجابني وأعانني. فقال أبو طالب: أي ابن أخي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي، ولكن والله لا يُخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت، ولم يكلم عليّاً بشيء يكره، فزعموا أنّه قال: أما إنه لم يدعك إلا إلى خيرٍ فاتّبعه. ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فكان أول ذكرٍ أسلم، وصلى بعد عليّ رضي الله عنهما.

وكان حكيم بن حزام قدم من الشام برقيق، فدخلت عليه خديجة بنت خويلد فقال: اختاري أيّ هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاخترت زيدا، فأخذته، فرآه النبي ﷺ فاستوهبه، فوهبته له، فأعتقه وتبناه قبل الوحي، ثم قدم أبوه حارثة لموجدته عليه وجزّعه فقال النبي ﷺ: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك»، قال: بل أقيم عندك، وكان يدعى زيد بن محمد، فلما نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] قال: أنا زيد بن حارثة.

(١) ابن هشام ١/٢٤٦-٢٤٧.

قال ابن إسحاق^(١) : وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريشٍ لقريش، وكان تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروف، فجعل لما أسلم يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يَغشاه، ويجلس إليه، فأسلم بدعائه: عثمان، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبّيدالله، وسعد بن أبي وقاص، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين أسلموا وصلّوا، فكان هؤلاء الثّغر الثمانية أوّل من سبق بالإسلام وصلّوا وصدّقوا.

ثم أسلم أبو عبّيدة عامر بن عبدالله بن الجراح الفهري، وأبو سلّمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله المخزومي، والأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبدالله المخزومي، وعثمان بن مظعون الجُمحّي، وأخواه قُدّامة وعبدالله، وعبّيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبدمناف المطّلبّي، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي، وامرأته فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وخَبّاب بن الأرتّ حليف بني زُهرة، وعُمير بن أبي وقاص أخو سعد، وعبدالله بن مسعود، وسليط بن عمرو بن عبد شمس العامريّ، وأخوه حاطب، وعيَاش بن أبي ربيعة بن المُغيرة المخزومي، وامرأته أسماء، وخُنيس بن حُذافة السّهميّ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، وعبدالله وأبو أحمد ابنا جحش بن رثاب الأسدي، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عُميس، وحاطب بن الحارث الجُمحّي، وامرأته فاطمة بنت المُجَلّل، وأخوه خطّاب، وامرأته فُكَيْهة بنت يسار، ومعمّر بن الحارث أخوهما، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطّلب بن أزهري بن عبد عوف العدوي الزُهريّ، وامرأته رَملة بنت أبي عوف، والنّحام وهو نُعيم بن عبدالله بن أسد العدوي، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر، وخالد بن

(١) ابن هشام ٢٥٠/١.

سعيد بن العاص بن أمية، وامراته أمينة بنت خلف، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبدالله حليف بني عدي، وخالد، وعامر، وعافل، وإياس بنو البكير حلفاء بني عدي، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان النمرى حليف بني تميم.

وقال محمد بن عمر الواقدي^(١): حدثني الضحاك بن عثمان، عن مخرمة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال طلحة بن عبيدالله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبدالله بن عبدالمطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرّة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي، فأسرعت إلى مكة، فقلت: هل من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبدالله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة، فدخلت عليه فقلت: أتبع هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق فاتبعه. فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج به حتى دخلا على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدّهما في حبل واحد، ولم تمنعهما بنو تميم، وكان نوفل يدعى «أسد قريش»، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة: القرينين.

وقال إسماعيل بن مجالد، عن بيان بن بشر، عن وبرة، عن همام، قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامراتان وأبو بكر. أخرجه البخاري^(٢).

(١) طبقات ابن سعد ٣/٢١٤-٢١٥.

(٢) البخاري ٥/٥-٦.

قلت: ولم يذكر علياً لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين.

وقال العباس بن سالم، ويحيى بن أبي كثير، عن أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمكة مُسْتَحْفِيًّا، فقلت: ما أنت؟ قال: «نبي». قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله». قلت: الله أرسلك؟ قال: «نعم». قلت: بِمَ أرسلك؟ قال: «بأن يُعبد الله وتُكسر الأوثان وتُوصل الأرحام». قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك؟ قال: «حُرّ وعبد»، يعني أبا بكر وبلالاً، فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا رابع أو رُبع، فأسلمتُ وقلت: أتبعك يا رسول الله، قال: «لا، ولكن إلحق بقومك، فإذا أُخبرت بأني قد خرجتُ فاتبعني». أخرجه مسلم^(١).

وقال هاشم بن هاشم، عن ابن المسيب، أنه سمع سعد بن أبي وقاص يقول: لقد مكثتُ سبعة أيام، وإني لثلثُ الإسلام. أخرجه البخاري^(٢).

وقال زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: النبي ﷺ وأبو بكر، وعمار وأمه، وصهيب، وبلال، والمقداد. تفرد به يحيى بن أبي بكير.

وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن سعيد بن زيد، قال: والله لقد رأيتني وإن عمر لمؤثقي وأخته على الإسلام، قبل أن يُسلم عمر، ولو أن أحداً أرفضّ للذي صنعتُم بعثمان لكان. أخرجه البخاري^(٣).

(١) مسلم ٢/٢٠٨.

(٢) البخاري ٥/٢٨.

(٣) البخاري ٥/٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٩/٢٥.

وقال الطيالسي في «مُسنده»^(١) : حدثنا حمّاد بن سلّمة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى عليّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، وقد فرّأ من المشركين، فقالا: يا غلام هل عندك لبنٌ تَسْقِينَا؟ قلت: إنّي مُؤْتَمَنٌ ولستُ بساقيكما. فقالا: هل عندك من جَدَعَة لم يَنْزُ عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها، فاعتقلاها أبو بكر، وأخذ النبي ﷺ الضرع فدعا، فحفل الضرعُ، وأتاه أبو بكر بصخرةٍ مُتَفَعِرَةٍ، فحلب فيها، ثم شربا وسقياني، ثم قال للضرع: «اقلص»، فقلص فلما كان بعدُ، أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: علّمني من هذا القولِ الطيب، يعني القرآن فقال: إنك غلامٌ مُعلّمٌ، فأخذتُ من فيه سبعينَ سورةَ ما يَنازعني فيها أحدٌ.

(١) وأخرجه أحمد ٣٧٩/١ و ٤٥٣ و ٤٥٧ و ٤٦٢، وانظر المسند الجامع حديث (٩٣٦٢).

فصل في دعوة النبي ﷺ عشيرته إلى الله

وما لقي من قومه

وقال جرير، عن عبد الملك بن عُمير، عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء] دعا النبي ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعَمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رَحِمًا سَأْبُلُهَا بِلَالِهَا». أخرجه مسلم^(١) عن قُتَيْبَةَ وزهير، عن جرير، واتفقا عليه^(٢) من حديث الزُّهري، عن ابن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة.

وقال سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو، قالوا: لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء] انطلق رسول الله ﷺ إلى رَضَمَةَ من جبل، فعلاها ثم نادى: يا بني عبد مناف، إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأً أهله^(٣)، فخشى أن يسبقوه فهتف: يا صباحاه. أخرجه

(١) مسلم ١/١٣٣.

(٢) البخاري ٦/١٤٠، ومسلم ١/١٣٣.

(٣) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته: «يربأً أهله: يحفظهم».

مسلم (١) .

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل، واستكتمني اسمه، عن ابن عباس، عن علي، قال: لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء] قال رسول الله ﷺ: عرفت أنني إن بادأت قومي رأيت منهم ما أكره، فصممتُ عليها، فجاءني جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذّبك. قال علي: فدعاني فقال: يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فعرفت أنني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فصممتُ، ثم جاءني جبريل فقال: إن لم تفعل ما أمرت به عذّبك ربك، فاصنع لنا يا علي رجلاً شاة على صاع من طعام وأعد لنا عَسَّ (٢) لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب». ففعلت، فاجتمعوا له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب، فقدّمت إليهم تلك الجفنة فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية، فشقها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها وقال: كُلُوا باسم الله. فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم يأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقِهم يا علي». فجئت بذلك القعب، فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وإيّم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد النبي ﷺ أن يتكلّم بدره أبو لهب فقال: لهذّما (٣) سَحَرَكُم صاحبكُم. فنفَرَقُوا ولم يكلمهم، فقال لي النبي ﷺ من الغد: «عُدْ لنا يا علي بمثل ما صنعت بالأمس». ففعلت وجمعتهم، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا، وشربوا من ذلك

(١) مسلم ١/١٣٤ .

(٢) أي: قدحاً كبيراً من اللبن .

(٣) كلمة يُتَعَجَّبُ بها .

الْقَعْبِ حَتَّى نَهَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًا مِنَ الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جِئْتُمْ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

قال أحمد بن عبد الجبار العطاردي: بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبي مريم، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث.

وقال يونس، عن ابن إسحاق: فكان بين ما أخفى النبي ﷺ أمره إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين.

وقال الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف؛ يا صباحاه. قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا. ثم قام، فنزلت «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» كذا قرأ الأعمش. متفق عليه^(١) إلا «وقد تب» فعند بعض أصحاب الأعمش، وهي في صحيح مسلم^(٢).

وقال ابن عيينة: حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر^(٣) وهي تقول:

(١) البخاري ١٢٩/٢ و ٢٢٤/٤ و ١٤٠/٦ و ٢٢١ و ٢٢٢، ومسلم ١٣٤/١.

(٢) مسلم ١٣٤/١.

(٣) أي: حجر.

مُذَمَّمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا

والنبي ﷺ في المسجد، فقال أبو بكر: يا رسول الله قد أقبلت وأخاف أن تراك. قال: إنها لن تراني، وقرأ قرآنًا فاعتصم به وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء] فوقف على أبي بكر، ولم تر النبي ﷺ فقالت: إنني أُخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها.

روى نحوه علي بن مسهر، عن سعيد بن كثير، عن أبيه، عن أسماء.

وقال أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «انظروا قريشاً كيف يصرف الله عني شتمهم ولعنهم، يشتمون مُذَمَّمًا ويلعنون مُذَمَّمًا، وأنا محمد». أخرجه البخاري (١).

وقال ابن إسحاق (٢): وفسا الإسلام بمكة ثم أمر الله رسوله فقال: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر] وقال: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر] قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر بشعب، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم وقاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجّه، فكان أول دم في الإسلام، فلما بادىء رسول الله ﷺ قومه وصدع بالإسلام، لم يُبعد منه ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى عاب آلهم، فأعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته، فحدب عليه

(١) البخاري ٤/٢٢٥.

(٢) ابن هشام ١/٢٦٢-٢٦٣.

عُمُه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، فلمَّا رأت قريش أنّ محمداً ﷺ لا يُعْتَبِهَم من شيءٍ أنكروه عليه، ورأوا أنّ عمّه يمنعه مشوا إلى أبي طالب فكلّموه، وقالوا: إمّا أن تكفّه عن آلهتنا وعن الكلام في ديننا، وإمّا أن تُخلّي بيننا وبينه. فقال لهم قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا. ثم بعد ذلك تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ، وحضّ بعضهم بعضاً عليه، ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: إنّ لك نسباً وشرفاً فينا، وإنّا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنّا والله ما نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفّه أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. ثم انصرفوا عنه، فعظّم على أبي طالب فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً أن يُسلم رسول الله ﷺ لهم ولا أن يخذله.

وقال يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى بن عبيد الله، عن موسى ابن طلحة قال: أخبرني عقيل بن أبي طالب، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إنّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنا، فقال: يا عقيل انطلق فائتني بمحمد. فانطلقتُ إليه فاستخرجته من حِش أو كيس - يقول: بيت صغير -، فلمّا أتاهم قال أبو طالب: إنّ بني عمك هؤلاء قد زعموا أنّك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم فائتني عن أذاهم. فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «أترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شُعلةً». فقال أبو طالب: والله ما كذبتنا ابن أخيك قطّ فارجعوا. رواه البخاري في «التاريخ»^(١) عن أبي كريب، عن يونس.

وقال ابن إسحاق^(٢): وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة أنّ قريشاً

(١) التاريخ الكبير ٥١/٧.

(٢) ابن هشام ٢٦٦/١.

حين قالت لأبي طالب ما قالوا، بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوا إليّ فقالوا: كذا وكذا، فأبى عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه بداء وأنه خاذله ومسلمه، فقال: «يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي. فأقبل إليه فقال: اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً.

قال ابن إسحاق فيما رواه عنه يونس: ثم قال أبو طالب في ذلك شعراً.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في الثراب دفيناً
فامض لأمرك ما عليك غضاضةً أبشر وقرّ بذاك منك عيوناً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت، وكنت قدماً أميناً
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذاري سبةً لو جدتني سمحاً بذاك مبيناً

وقال الحارث بن عبّيد: حدثنا الجريري، عن عبدالله بن شقيق، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة] فأخرج رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس انصروا فقد عصمني الله».

وقال محمد بن عمرو بن علقمة، عن محمد بن المنكدر، عن ربيعة ابن عباد الدؤلي، قال: رأيت النبي ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجلٌ أحول تقدّ وجنته، وهو يقول: لا يعزّنكم عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: أبو لهب.

وقال عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن ربيعة بن عباد من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم، أنه رأى النبي ﷺ بذي المجاز، وهو يمشي بين ظهراي الناس يقول: «يا أيها الناس قُولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قُولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(١) ووراءه أبو لهب. فذكر الحديث. قال ربيعة: وأنا يومئذ أزرُ القربة لأهلي.

وقال شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن رجلٍ من كنانة، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وهو يقول: «قُولوا لا إله إلا الله تفلحوا». وإذا خلفه رجلٌ يسفي عليه الثراب، فإذا هو أبو جهل ويقول: لا يَغْرَتُكُمْ هذا عن دينكم، فإنما يريدُ أن تتركوا عبادةَ اللات والعزى. إسناده قوي.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: حدثني نُعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه بين أظهرِكُم؟ قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيتُهُ يفعل ذلك لأطأَنَّ على رقبته ولأعفرنَّ وجهه. فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي لِيَطَأَ على رقبته، فما فَجَأَهُمْ منه إلا وهو يَنكُصُ على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إنَّ بيني وبينه لَخندقاً من نار. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاخْتَطَفْتُهُ الملائكةُ عضواً عضواً». أخرجه مسلم^(٢).

وقال عكرمة، عن ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمداً يصلي عند الكعبة لأطأَنَّ عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعل لأخَذْتُهُ الملائكةُ عياناً». أخرجه البخاري^(٣).

(١) هكذا بخط المؤلف مرتين وهو الصواب إن شاء الله تعالى.

(٢) مسلم ١٣٠/٨.

(٣) البخاري ٢١٦/٦.

وقال محمد بن إسحاق^(١) : ثم إن قريشاً أتوا أبا طالب فقالوا: يا أبا طالب هذا عُمارة بن الوليد أنهدُ فتى في قريش وأجمله، فخذهُ فلكَ عَقْلُهُ ونُصْرَتُهُ واتَّخِذَهُ ولدًا فهو لك، وأَسْلِمَ إلينا ابنَ أخيك هذا الذي قد خالف دينكَ ودينَ آبائك نقتله، فإنما رجلٌ كرجل. فقال: بسس والله ما تسوموني، أتعطوني ابنكم أَعْدُوهُ لكم، وأعطيكُم ابني تَقْتُلُونَهُ! هذا والله ما لا يكونُ أبدًا. فقال المُطْعِمُ بن عَدِي بن نوفل بن عبد مَناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وشهدوا^(٢) على التخصُّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبلَ منهم شيئًا. فقال: والله ما انصفوني ولكنتك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرةَ القوم عليّ، فاصنع ما بدَا لك. فَحَقَّبَ الأمرُ، وحميت الحرب، وتنازَدَ القوم، فقال أبو طالب:

أَلْأَقْلَ لَعَمْرُو وَالْوَلِيدَ وَمُطْعِمَ أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاتِكُمْ بَكْرٌ^(٣)
 مِنَ الْخُورِ حَبَابٌ^(٤) كَثِيرٌ رُغَاوُهُ يَرِشُ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرٌ
 أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْبِنَا وَأَمْنَا إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
 أَخْصُ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا هُمَا نَبَدَانَا مِثْلَمَا يُنْبَدُ الْجَمْرُ
 وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر، منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين المشركين وبين النبي ﷺ، فلما قام عنهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهدُ الله لأجلسنَّ له غدًا بحجر، فإذا سجد فضعُتُ به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

(١) ابن هشام ٢٦٦/١-٢٦٧.

(٢) هكذا بخط المؤلف، وفي السيرة: «وجهدوا».

(٣) أي: الفتى من الإبل.

(٤) الحبيب: الصغير.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً وجلس، وأتى النبي ﷺ فقام يصلي بين الرُّكنين الأسود واليَماني، وكان يصلي إلى الشام، وجلست قريش في أنديتها ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع مرعوباً متتقياً لونه، قد يبست يدها على حجره، حتى قذف به من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحَكَم؟ فقال: قمتُ إليه لأفعل ما قلتُ لكم فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحلُّ من الإبل، والله ما رأيتُ مثلَ هامته ولا قصرته^(١) ولا أنيابه لفحلٍ قطّ، فهمم أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذاك جبريل عليه السلام لو دنا مني لأخذه^(٢).

وقال المُحاربي وغيره، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مرّ أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أنهك عن أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني. فانتهره النبي ﷺ، فقال جبريل: ﴿فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ﴾^(٤) ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(٥) [العلق]. والله لو دعا نادية لأخذته زبانية العذاب.

وقال البيهقي^(٣): أخبرنا الحاكم، قال: أخبرنا محمد بن علي الصنعاني بمكة، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن الوليد ابن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوك فإنك أتيت محمداً لتعرض لِمَا قبله. قال: قد علمت

(١) القَصْرَة: العنق.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٩٩.

(٣) دلائل النبوة ٢/١٩٨-١٩٩.

أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهَا، أَوْ أَنَّكَ كَارَةٌ لَهُ. قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشُّعْرَانِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِالشُّعْرَانِ مِنَ الْجِنِّ، وَاللَّهُ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُتَمِرٌ أَعْلَاهُ، مَعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطُمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَذَعْنِي حَتَّى أَفَكَّرَ فِيهِ. فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثِرُ، يَأْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَتَزَلَتْ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر] يَعْنِي الْآيَاتِ. هَكَذَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ مُوَصَّلًا. وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ مُرْسَلًا. وَرَوَاهُ مَخْتَصِرًا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرَمَةَ مُرْسَلًا.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَوْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ اجْتَمَعَ وَنَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ، وَكَانَ ذَا سِنَّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، فَقَالَ: إِنَّ وَفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا وَلَا تَخْتَلَفُوا فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. قَالُوا: فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا وَأَنَا أَسْمَعُ. قَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ. فَقَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْتَ الْكُهَّانَ، فَمَا هُوَ بِزَمِيمَةِ الْكَاهِنِ وَسِحْرِهِ^(١). فَقَالُوا: نَقُولُ مَجْنُونٌ. فَقَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا الْجِنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالِجِهِ وَلَا وَسُوسَتِهِ. قَالَ: فَتَقُولُ شَاعِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ عَرَفْنَا الشُّعْرَ بِرَجْزِهِ وَهَزْجِهِ وَقَرِيضِهِ وَمَقْبُوضِهِ وَمَبْسُوطِهِ فَمَا هُوَ بِالشُّعْرِ. قَالُوا: فَتَقُولُ سَاحِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، قَدْ رَأَيْنَا الشُّحَارَ وَسَحَرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِ وَلَا عَقْدِهِ. فَقَالُوا: مَا

(١) هكذا بخط المؤلف، وفي سيرة ابن هشام - وهي عن رواية البكائي -: «وسجعه».

تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لَعَدِقُ وإن فرعه لَجَنِي، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطلٌ، وإن أقرب القول أن نقول ساحر يفرّق بين المرء وبين ابنه وبين المرء وبين أخيه وبين عشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدّموا الموسم، لا يمرُّ بهم أحد إلا حدّروه. فأنزل في الوليد: ﴿ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا﴾ [١١] إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدرثر] وأنزل الله في الذين كانوا معه: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [١١] [الحجر] أي: أصنافاً، ﴿فَوَرَيْكَ لَتَسْتَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٢] [الحجر].

وقال ابن بُكير، عن ابن إسحاق، عن رجلٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قام النَّضر بن الحارث بن كَلْدَةَ العَبْدَرِي، فقال: يا معشر قريش، إنّه والله لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتُم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتُم ساحر، لا والله ما هو بساحر، ولا بكاهن، ولا بشاعر، قد رأينا هؤلاء وسمعنا كلامهم، فانظروا في شأنكم. وكان النَّضر من شياطين قريش، ممّن يؤذي رسولَ الله ﷺ وينصبُ له العداوة.

وقال محمد بن فضّيل: حدثنا الأجلح، عن الذّيال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال أبو جهل والملا من قريش: لقد انتشر علينا أمرُ محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر، فكلّمه ثم أتانا ببيان من أمره. فقال عُتْبة: لقد سمعت بقول السّحرة^(١) والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليّ إن كان كذلك. فأتاه، فلما أتاه قال له عُتْبة: يا محمد أنت خيرٌ أم هاشم، أنت

(١) هكذا بخط المؤلف، وقد ضُرب على التاء لأن السياق: «السحر»، لكنه نقل الخبر كما هو، وهي كذلك «السحرة» في دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٠٣).

خيرٌ أم عبدالمطلب، أنت خيرٌ أم عبدالله؟ فلم يُجبه، قال: فِيمَ تشتم
 آلهتنا وتضلّل آباءنا، فإن كنتِ إنّما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا، فكنتِ
 رأسنا ما بقيتِ، وإن كان بك الباءة زوّجناك عشرَ نسوةٍ تختارُ من أيّ
 أبياتِ قريشٍ شئتِ، وإن كان بك المالُ جمعنا لك من أموالنا ما تستغني
 به أنتِ وعقبك من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكتٌ، فلما فرغ قال رسول
 الله ﷺ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمَّ ① تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② ﴾
 [فصلت] فقرأ حتى بلغ ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ③ ﴾
 [فصلت] فأمسك عُتبة على فيه، وناشده الرَّحِمَ أن يكفَّ عنه، ولم
 يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشرَ قريشِ والله ما
 نرى عُتبة إلا قد صبأ إلى محمد، وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجةٍ
 أصابته، انطلقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عُتبة ما حسبنا
 إلا أنّك صبوتِ، فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك ما يُغنيك عن طعام
 محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: لقد علمتم أنّي
 من أكثر قريشٍ مالاً ولكنتي أتيته، فقضّ عليهم القصّة، فأجابني بشيءٍ
 والله ما هو بسحرٍ ولا شعرٍ ولا كهانة، قرأ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَمَّ ① تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② كَذَّبُ قُضَيْلَتِ ③ آيَاتُهُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوِّهِ
 يَعْلَمُونَ ④ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ⑤ ﴾
 [فصلت] فأمسكتُ بفيه، وناشدته الرحم أن يكفَّ، وقد علمتم أنّ
 محمدًا إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفتُ أن ينزلَ بكم العذاب. رواه يحيى
 ابن مَعِين عنه (١).

وقال داود بن عمرو الضبّي: حدثنا المثنى بن زُرعة، عن محمد بن
 إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: لما قرأ النبي ﷺ على عُتبة بن
 ربيعة ﴿ حَمَّ ① تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② ﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا

(١) دلائل النبوة ٢/٢٠٣-٢٠٥.

قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي قطّ كلاماً مثله، وما دريتُ ما أُرِدُّ عليه .

ابن إسحاق^(١) : حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: حَدَّثْتُ أَنْ عُبْتَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، لَمَّا أَسْلَمَ حَمِزَةَ قَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ كُلُّكُمْ مُحَمَّدًا. فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مَنَا حَيْثُ عَلِمْتَ مِنَ الْبَسْطَةِ وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، فَرَقَّتْ بِهِ بَيْنَهُمْ، وَسَفَهَتْ أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَتْ بِهِ آلِهَتَهُمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي. قَالَ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ. قَالَ: إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ مَا لَمْ جَمْعُنَا لَكَ، حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَا لَمْ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ شَرَفًا سَوْدَانِكَ وَمَلَكْنَاكَ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِيكَ رِثِيًّا طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ. حَتَّى إِذَا فَرَّغَ قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي. قَالَ: أَفْعَلُ. قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴿٣﴾ وَمَضَى، فَأَنْصَتُ عُتْبَةَ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ سَجَدَ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَأَنْتَ وَذَلِكَ. فَقَامَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْلَفُ وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي سَمِعْتُ قَوْلًا، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالشَّحْرِ وَلَا بِالكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ أَطِيعُونِي، وَاجْعَلُونَهَا بِي، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ نَبَأٌ، فَإِنْ تُصِيبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَيَّ الْعَرَبُ، فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ. قَالُوا: سَحَرَكُ وَاللَّهِ بِلِسَانِهِ. قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ.

(١) ابن هشام ٢٩٣/١ .

وقال يونس، عن ابن إسحاق^(١) : حدثني الزُّهري . قال : حَدَّثَتْ
أَنَّ أَبَا جَهْلٍ ، وَأَبَا سُفْيَانَ ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ خَرَجُوا لَيْلَةً يَلْتَمِسُونَ
يَتَسَمَّعُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ ، وَأَخَذَ كُلُّ
رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا ، وَكَلًّا لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَفَرَّقُوا
فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَتَلَاوَمُوا وَقَالُوا : لَا نَعُودُ فَلَوْ رَأَى بَعْضُ السُّفَهَاءِ لَوَقَعَ
فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ عَادُوا لِمِثْلِ لَيْلَتِهِمْ ، فَلَمَّا تَفَرَّقُوا تَلَقَّوْا فَتَلَاوَمُوا
كَذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ وَأَصْبَحُوا جَمَعَتْهُمْ الطَّرِيقُ فَتَعَاهَدُوا أَنْ
لَا يَعُودُوا ، ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ ، فَقَالَ :
أَخْبَرَنِي عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ
سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرَفَهَا ، وَأَعْرَفَ مَا يُرَادُ بِهَا . فَقَالَ الْأَخْنَسُ : وَأَنَا وَالَّذِي
حَلَفْتُ بِهِ . ثُمَّ أَتَى أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ : مَا رَأَيْكَ ؟ فَقَالَ : مَاذَا سَمِعْتَ ؟ تَنَازَعْنَا
نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافِ الشَّرَفِ ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا ، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا ،
وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا ، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرَّكْبِ ، وَكُنَّا كَفَرَسَى رَهَانَ ،
قَالُوا : مَتَى نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَمَتَى نَدْرِكُ هَذِهِ ، وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ
بِهِ أَبَدًا وَلَا نَصُدِّقُهُ . فَقَامَ الْأَخْنَسُ عَنْهُ .

وقال يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن
المُغيرة بن شعبة، قال: إنَّ أول يومٍ عرفتُ رسولَ الله ﷺ أَنِّي أمشي أنا
وأبو جهل، إذ لَقِينَا رسولُ الله ﷺ فقال لأبي جهل: يا أبا الحَكَمِ هَلُمَّ
إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ. فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت
مُتِّهِ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هل تريد إلَّا أنْ نشهد أنْ قد بَلَّغْتَ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي
أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقًّا مَا أَتَّبَعْتُكَ. فانصرف رسول الله ﷺ، وأقبل عليَّ
فقال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنَّ بَنِي قُصَيِّ قَالُوا: فِينَا
الْحِجَابَةُ، فقلنا: نعم، فقالوا: ففينا النَّدْوَةُ، قلنا: نعم، ثم قالوا: ففينا

(١) ابن هشام ١/٣١٥.

اللّواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السّقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: متّانبيّ. والله لا أفعل.

وقال ابن إسحاق^(١): ثم إن قريشاً وثبت كلّ قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فمَنع الله رسولَهُ ﷺ بعمه أبي طالب، فقام أبو طالب فدعا بني هاشم وبني عبدالمطلب إلى ما هو عليه من منع رسولِ الله ﷺ والقيامِ دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه، إلا ما كان من الخاسر أبي لهب، فجعل أبو طالب يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضلَ محمد ﷺ، وقال في ذلك أشعاراً، ثم إنّه لما خشي دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه، لمّا انتشر ذِكرُهُ قال قصيدته التي منها:

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهم
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى
صبرتُ لهم نفسي بسمراءِ سمحةٍ
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي
أعوذُ بربِّ الناس من كل طاعنٍ
وفيها يقول:

كذبتُم وبيتِ الله بُزرى محمداً
ونُسلمه حتى نُصرِّعَ حوله
وينهض قومٌ نحوكم غير عزل
وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه
يلوذُ به الهلاكُ من آلِ هاشمٍ
لعمري لقد كلفتُ وجداً بأحمدٍ
فمن مثلهُ في الناس أي مؤمِّل

ولمّا نُطاعِن دونه ونُناضل
ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل
ببيضِ حديث عهدها بالصياقِلِ
ثمّالُ اليتامى عصمة للأرامِلِ
فهم عنده في رحمةٍ وفواضِلِ
وإخوته دأبُ المُحبِّ المُواصِلِ
إذا قاسه الحكامُ عند التفاضِلِ

(١) ابن هشام ١/٢٧٢.

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائش
فَوَاللهِ لولا أن أجيء بسبِّة
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ على كلِّ حالةٍ
لقد علموا أنَّ ابننا لا مُكذَّبُ
فأصبح فينا أحمدُ ذو أرومة
حَدِثْتُ بنفسِي دونه وحميته
جزى الله عَنَّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً

يوالي إلهاً ليس عنه بغافلٍ
تُجَرُّ على أشياخنا في المحافلِ
من الدَّهرِ جداً غيرَ قولِ التهازلِ
لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطيلِ
يقصِّرُ عنها سَورةِ المتطاولِ
ودافعت عنه بالذُّرى والكلالِ
عقوبةَ شرِّ عاجلاً غيرَ آجلِ

فلما انتشر ذِكْرُ رسولِ اللهِ ﷺ بين العرب ذُكرَ بالمدينة، ولم يكن
حيُّ من العرب أعلمُ بأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ حين ذُكِرَ، وقبل أن يُذكَرَ، من
الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من الأحبار، وكانوا حلفاء،
يعني اليهود في بلادهم. وكان أبو قيس بن الأسلت يحب قريشاً، وكان
لهم صهراً، وعنده أرنب ابنة أسد بن عبد العزى، وكان يقيم بمكة السنين
بزوجته، فقال:

أيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ
رسولِ امرئٍ قد راعه ذاتِ بينكم
أعيذكُمُ بالله من شرِّ صُنْعِكُمْ
متى تبعثوها، تبعثوها ذَمِيمَةً
أقيموا لنا ديناً حنيفاً، فأنتم
فقوموا، فصلُّوا ربَّكم، وتمسَّحوا
فعندكمُ منه بلاءٌ مَصْدَقُ
فلمَّا أتاكم نصرُ ذي العرشِ رَدَّهم
فولُّوا سراعاً هاربين ولم يُؤبُ

مغلغلة عني لؤيِّ بنِ غالبِ
على النَّأيِ محزونٍ بذلك ناصبِ
وشرِّ تباغيكم ودَسِّ^(١) العقاربِ
هي الغولُ للأقصين أو للأقاربِ
لنا غاية قد نهتدي بالذَّوائِبِ
بأركانِ هذا البيتِ بين الأحاشِبِ
غداة أبي يكسومَ هاديِ الكتابِ
جنودُ المليكِ بين سافٍ وحاصِبِ
إلى أهله ملجيشِ غيرِ عصائبِ

(١) كتب المصنف بخطه في حاشية نسخته: «ودوس» أي أنها كذلك في رواية أخرى.

أبو يكسوم: ملك أصحاب الفيل.

وقال ابن إسحاق^(١): فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت أصابت قريش من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، قد سفّه أحلامنا، وسب آلهتنا، وفعل وفعل. فطلع عليهم رسول الله ﷺ، فاستلم الركن وطاف بالبيت، فلما مرّ غمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجهه، فلما مرّ الثانية غمزوه، فلما مرّ الثالثة غمزوه، فوقف، فقال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح. قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا كأن على رأسه طائراً واقع، حتى إن أشدهم فيه وطأة ليرفؤه^(٢) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً. فانصرف ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر، وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرت ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك، إذ طلع النبي ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيقول: «نعم»، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، فقام أبو بكر دونهم يبكي ويقول: ﴿أَنفَقُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّكَ اللَّهُ﴾ [غافر] ثم انصرفوا عنه، فحدثني بعض آل أبي بكر، أن أم كلثوم بنت أبي بكر قالت: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذّبوه بلحيته، وكان كثير الشعر.

(١) ابن هشام ١/٢٨٩-٢٩٠.

(٢) أي: يهدّته ويسكّنه.

إسلام أبي ذر رضي الله عنه

وقال سليمان بن المغيرة: حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصّامت قال: قال أبو ذرّ: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يُحلّون الشهرَ الحرام، فخرجتُ أنا وأخي أنيس وأُمنّا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مالٍ وهيئة فأكرمنا، فحَسَدنا قومُهُ، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالَف إليهم أنيسٌ. فجاء خالنا فننا^(١) علينا ما قيل له. فقلت له: أمّا ما مضى من معروفك، فقد كدّرتَه ولا جماعَ لك فيما بعد، فقربنا صرمتنا^(٢) فاحتملنا عليها، وتغطّى خالنا ثوبه، فجعل يبكي، فانطلقنا فنزلنا بحضرة مكة، فنأفر^(٣) أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا الكاهنَ فخبر^(٤) أنيساً، فأتانا بصرمتنا ومثلها معها. قال: وقد صلّيت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسولَ الله ﷺ بثلاث سنين، فقلت: لمن؟ قال الله. قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجّهني الله أصلي عشاءً، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيتُ كأني خفاءٌ - يعني الثوب - حتى تغلوني الشمس. فقال أنيس: إن لي حاجةً بمكة فاكفني حتى آتيك. فأتى مكة فراثٌ - أي أبطأ - عليّ، ثم أتاني فقلتُ ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً بمكة يزعمُ أنّ الله أرسله على دينك. قلت: ما يقول الناس؟ قال: يقولون: إنه شاعرٌ، وساحرٌ، وكاهنٌ، وكان أنيس أحدَ الشعراء. فقال: لقد سمعتُ قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولو وضعتُ قوله على أقوال

(١) أي: أظهر وأشاع.

(٢) أي: القطعة من الإبل أو الغنم.

(٣) أي: المفخرة والمحاكمة. وهو أن يتفاخر رجلان ثم يحتكما أيهما خير أو أيهما أشعر؟.

(٤) أي: تراهن.

الشعراء، فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنه شعر، ووالله إنه لصادقٌ، وإنهم لكاذبون. قال: قلت له: هل أنت كافيي حتى أنطلقَ فأنظر؟ قال: نعم، وكن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شنفوا له وتجهّموا. فأتيت مكة، فتضعفتُ^(١) رجلاً، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصّابىء؟ قال: فأشار إليّ الصّابىء^(٢). قال: فمال عليّ أهل الوادي بكلّ مدرّةٍ وعظم، حتى خررتُ معشياً عليّ، فارتفعتُ حين ارتفعتُ، كأني نُصبٌ أحمر^(٣)، فأتيتُ زمزمَ فشربت من مائها، وغسلت عني الدّم، فدخلتُ بين الكعبة وأستارها، ولقد ليثتُ يا ابن أخي ثلاثين من بين ليلةٍ ويوم، وما لي طعام إلا ماءُ زمزم، فسمنتُ حتى تكسّرت عُكُنُ بطني^(٤)، وما وجدتُ على كبدي سخفةً^(٥) جوع. فبينما أهل مكة في ليلةٍ قمراءٍ إضحيان، قد ضرب الله على أصمحةِ أهل مكة، فما يطوفُ بالبيت أحدٌ غير امرأتين، فأتتا عليّ، وهما تدعوان إسافاً ونائلة، فأتتا عليّ في طوافهما، فقلتُ: أنكحاهما الأخرى. قال: فما تناهتا عن قولهما - وفي لفظ: فما ثناهما ذلك عما قالتا - فأتتا عليّ فقلت: هنّ مثل الخشبة، غير أنني لا أكفي. فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان ها هنا أحدٌ من أنفارنا. فاستقبلهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، وهما هابطان من الجبل، فقالا لهما: ما لكما؟ قالتا: الصّابىء بين الكعبة وأستارها. قال: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمةً تملأُ الفم. فجاء رسولُ الله ﷺ وصاحبه، فاستلم الحجرَ، ثم طافا، فلما قضى صلاته أتيته، فكننتُ أول مَنْ حيّاهُ بتحية الإسلام. فقال: «وعليك ورحمةُ الله». ثم قال: «ممن

(١) أي: سألتُ رجلاً من أضعفهم.

(٢) في صحيح مسلم: فأشار إليّ فقال: الصّابىء.

(٣) أي: كأني صنمٌ مُحمرٌّ من دم الذبائح.

(٤) جمع عكنة، وهي الطي في البطن من السمن.

(٥) أي: أثر الجوع.

«أنت؟» قلت: من غفار، فأهوى بيده فوضعها على جبينه، فقلت في نفسي: كره أتى انتميتُ إلى غفار، فأهويت لأخذَ بيده، ففقدتني^(١) صاحبه، وكان أعلمَ به مني، ثم رفع رأسه، فقال: متى كنت ها هنا؟ قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين، بين ليلةً ويوماً^(٢). قال: فمن كان يُطعمك؟ قلتُ: ما كان لي طعام إلا ماءٌ زمزم. فقال: إنها مباركة، إنها طعامٌ طعم، وشفاءٌ سقيم. فقال أبو بكر: إئذن لي يا رسولَ الله في طعامه الليلة. ففعل، فانطلقا، وانطلقتُ معهما، حتى فتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أوَّلَ طعامٍ أكلتهُ بها. قال: فعبرتُ ما عبرتُ ثم أتيت رسولَ الله ﷺ، فقال: إني قد وُجِّهْتُ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ لا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومك لعل الله أن ينفعهم بك ويأجركَ فيهم؟ فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً فقال لي: ما صنعت؟ قلت: صنعتُ أتى أسلمتُ وصدقتُ. ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبةٌ عن دينكما. فأسلمتُ، ثم احتملنا حتى أتينا قومنا غفار، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسولُ الله ﷺ المدينة، وكان يؤمُّهم خُفاف بن إيماء بن رَحْصَةَ الغفاري، وكان سيدهم يومئذٍ، وقال بقيتهم: إذا قَدِم رسولُ الله ﷺ أسلمنا، فقدم المدينة فأسلم بقيتهم. وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسولَ الله إخواننا، نُسلِّمُ على الذي أسلموا عليه، فأسلموا فقال: «غِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لها، وأسلمَ سالمها اللهُ» أخرجهُ مسلم^(٣) عن هُدَبة، عن سليمان.

وفي الصحيحين^(٤) من حديثِ مثنى بن سعيد، عن أبي جَمْرَةَ

(١) كتب المؤلف بخطه في حاشيته نسخه شارحاً الكلمة بقوله: «كفني».

(٢) هكذا مجودة بخط المؤلف، وفي صحيح مسلم: «بين ليلةً ويوم».

(٣) مسلم ١٥٢/٧ و ١٧٦.

(٤) البخاري: ٤/٢٢١ و ٥٩/٥، ومسلم: ١٥٥/٧.

الزُّبَيْعِي، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أُرْسِلْتُ أَخِي فَرَجَعَ وَقَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ. فَلَمْ يَشْفِنِي، فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ زَمْزَمٍ، فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: كَأَنَّكَ غَرِيبٌ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزَلِ. فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمْ أَسْأَلْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، جِئْتُ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ مَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّ لَكَ أَنْ تَعُودَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: مَا أَمْرُكَ؟ قُلْتُ: إِنَّ كَتَمْتُ عَلِيًّا أَخْبَرْتُكَ، ثُمَّ قُلْتُ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ خَرَجَ نَبِيًّا. قَالَ: قَدْ رَشِدْتَ فَاتَّبِعْنِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: اعْرَضَ عَلِيٌّ الْإِسْلَامَ. فَعَرَضَهُ عَلِيٌّ، فَأَسْلَمْتُ، فَقَالَ: اكْتُمُ إِسْلَامَكَ وَارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ. قُلْتُ: وَاللَّهِ لِأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالُوا: قَوْمُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيءِ. فَقَامُوا، فَضْرِبْتُ لِأَمَوْتٍ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ: تَقْتُلُونَ، وَيَلِكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ، وَمَتَجَرِّكُمْ وَمَمْرُكُمْ عَلَى غِفَارٍ؟! فَأَطْلِقُوا عَنِّي. ثُمَّ فَعَلْتُ مِنَ الْغَدِ كَذَلِكَ، وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ أَيْضًا.

وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَمَامِيُّ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عِمَارٍ، عَنْ أَبِي زُمَيْلِ سِمَاكِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مَرْتَدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ رُبْعَ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمْتُ قَبْلِي ثَلَاثَةٌ نَفَرًا، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَرَأَيْتَ الْاسْتَبْشَارَ فِي وَجْهِهِ.

إسلام حمزة رضي الله عنه

وقال ابن إسحاق^(١) : حدثني رجلٌ من أسلم، كان واعيةً ، أن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فأذاه وشمته، فلم يكلمه النبي ﷺ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدعان، تسمع، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبدالمطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنصٍ له، وكان صاحب قنص، وكان إذا رجع من قنصه بدأ بالطواف بالكعبة، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشدّه شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة قالت له : يا أبا عُمارة ما لقيَ ابنُ أخيك أنفأً من أبي الحَكَم، وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبّه وبلغ منه، ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى مُغذّاً لأبي جهل، فلما رآه جالساً في القوم أقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها، فشجّه شَجَّةً مُنكَرَةً، ثم قال : أتشتمه! فأنا على دينه أقول ما يقول، فَرَدَّ عليّ ذلك إن استطعت، فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارَةَ فوالله لقد سببتُ ابنَ أخيه سباً قبيحاً. وتمَّ حمزةُ على إسلامه، فلما أسلم، عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة رضي الله عنه سيمنعه، فكفُّوا بعض الشَّيء .

(١) ابن هشام ٢٩١/١.

إسلامُ عمر رضي الله عنه

قال عبد بن حُميد وغيره^(١) : حدثنا أبو عامر العَقَدِي، قال: حدثنا خارجة بن عبد الله بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر، أَنَّ النبي ﷺ قال: **اللَّهُمَّ اعِزَّ الإسلامَ بِأحَبِّ هذينِ الرَّجُلينِ إِلَيْكَ، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام. وروى نحوه عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.**

وقال مُبارك بن فضالة، عن عُبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن ابن عباس، أَنَّ النبي ﷺ قال: **اللَّهُمَّ اعِزَّ الدِّينَ بِعُمَرَ**^(٢).

وقال عبدالعزیز الأويسی: حدثنا الماجشون بن أبي سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«اللهم اعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة».**

قال إسماعيل بن أبي خالد: حدثنا قيس، قال ابن مسعود: ما زلنا اعزّة منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري^(٣).

وقال أحمد في «مسنده»^(٤) : حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صفوان، قال: حدثنا شريح بن عبيد، قال: قال عمر: خرجت أتعرض رسولَ الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقممت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، فقرأ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا

(١) مسند عبد بن حميد (٧٥٩)، والترمذي (٣٦٨١)، وأحمد ٩٥/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/٢٦٩.

(٣) البخاري ١٤/٥.

(٤) أحمد ١٧/١.

تُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ [المحافة] الآيات، فوقع في قلبي الإسلام كلَّ موقع .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عبدالله بن المؤمل، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: كان أوَّل إسلام عمرَ أنَّ عمرَ قال: ضربَ أُختي المخاضُ ليلاً، فخرجت من البيت، فدخلتُ في أستار الكعبة في ليلةِ قرّة، فجاء النبي ﷺ فدخل الحِجرَ، وعليه تَبَانٌ^(١)، فصلى ما شاء الله، ثم انصرف، فسمعتُ شيئاً لم أسمع مثله، فخرج، فاتّبعته فقال: «مَنْ هذا؟» قلتُ: عمر. قال: «يا عمر ما تدعُني ليلاً ولا نهاراً»، فخشيتُ أن يدعو عليّ فقلت: اشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله. فقال: «يا عمر أسِرّه». قلتُ: لا والذي بعثك بالحقِّ لأعلننّه، كما أعلنتُ الشُّركَ.

وقال محمد بن عبيد الله ابن المنادي: حدثنا إسحاق الأزرق، قال: حدثنا القاسم بن عثمان البصري، عن أنس بن مالك، قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف، فلقيه رجل من بني زهرة فقال له: أين تَعمِدُ يا عمر؟ قال: أريدُ أن أقتلَ محمداً. قال: فكيف تأمنُ في بني هاشم وبني زهرة، وقد قتلتَ محمداً؟ فقال: ما أراك إلا قد صبوت. قال: أفلا أدلُّك على العَجَبِ، إنَّ خَتَنَكَ وأختك قد صبوا وتركوا دينك. فمشى عمر فأتاهما، وعندهما خَبَابٌ، فلما سمع بحسِّ عمر تواری في البيت، فدخل فقال: ما هذه الهَيِّمَة؟ وكانوا يقرءون «طه»، قالوا: ما عدّا حديثاً تَحدِّثناه بيننا. قال: فلعلُّكما قد صبوتما؟ فقال له خَتَنُهُ: يا عمر إنَّ كان الحقُّ في غير دينك. فوثب عليه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أُخته لتدفعه عن زوجها، فنَفَحَها نَفْحَةً بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غَضَبِي: وإن كان الحق في غير دينك إني أشهد أن لا إله إلا

(١) أي: سروال صغير.

الله، وأن محمداً عبده ورسوله. فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت أخته: إِنَّكَ رَجَسٌ، وإنه لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فقام فَاغْتَسَلَ أو تَوَضَّأَ، فقام فتوضَّأَ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿طه﴾ [طه] فقال عمر: دُلُّوا على محمد، فلما سمع خَبَابَ قول عمر خرج فقال: أَبَشِّرْ يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعزِّ الإسلامَ بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام». وكان رسول الله ﷺ في أصل الدَّار التي في أصل الصَّفَا. فانطلق عمر حتى أتى الدَّار وعلى بابها حمزة، وطلحة، وناس، فقال حمزة: هذا عمر، إن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُسَلِّمِ وإن يُرِدِ غير ذلك يكن قتله علينا هيئاً. قال: والنبي ﷺ داخلٌ يوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمايل السيف فقال: «ما أنت منته يا عمر حتى يُنزل اللهُ بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟» فهذا عمر «اللهم أعزِّ الإسلامَ بعمر». فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله.

وقد رواه يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، وقال فيه: زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو.

وقال ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عمر، قال: إِنِّي لَعَلِّي سَطِحٌ، فرأيت الناس مجتمعين على رجل وهم يقولون: صبأ عمر، صبأ عمر. فجاء العاص بن وائل عليه قباء ديباج، فقال: إِنْ كَانَ عمر قد صبأ فمه أنا له جار. قال: ففترَّقَ الناس عنه. قال: فعجبت من عزّه. أخرجه البخاري^(١) عن ابن المديني، عنه.

(١) البخاري ٦١/٥.

قال البكائي، عن ابن إسحاق^(١) : حدثني نافع، عن ابن عمر، قال: لما أسلم عمر، قال: أيُّ قريشٍ أنقلُ للحديثِ؟ قيل: جميلُ بنُ مَعْمَرِ الجُمَحِيِّ. فغدا عليه، قال ابن عمر: وَغَدَوْتُ أَتَبِعُ أثره وأنا غلامٌ أعقلُ، حتى جاءه، فقال: أَعَلِمْتَ أَنِي أسَلَمْتُ؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إنَّ ابنَ الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنِّي أسَلَمْتُ. وثاروا إليه فما برحَ يُقاتلهم، ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وَطَلَحَ^(٢) ففقد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدأ لكم، فأحلف بالله أن لو كنَّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخ عليه حلَّة حبرة، وقميصٌ مُوشَى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه! رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون! أترون بني كعب بن عدي يُسَلِّمونه! خلُّوا عنه. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه، فقلت لأبي بعد أن هاجر: يا أبة، مَنْ الرجلُ الذي زَجَرَ القومَ عنك؟ قال: العاص بن وائل.

أخرجه ابن حبان^(٣)، من حديث جرير بن حازم، عن ابن إسحاق. وقال إسحاق بن إبراهيم الحنيني، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال لنا عمر: كنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يومٍ حارٍّ بالهجرة، في بعض طريق مكة، إذ لَقِيَنِي رجلٌ فقال: عجباً لك يا ابن الخطاب، إنك تزعم أنك وأنك، وقد دخل علينا الأمرُ في بيتك. قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت. فرجعْتُ

(١) ابن هشام ١/٣٤٨-٣٤٩.

(٢) أي: أعبأ.

(٣) صحيح ابن حبان ١٥/٣٠٢-٣٠٣ = (٦٨٧٩).

مُغَضَّباً حَتَّى قَرَعْتُ الْبَابَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَسْلَمَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ مِمَّنْ لَا شَيْءَ لَهُ ضَمَّهُمَا إِلَى مَنْ فِي يَدِهِ سَعَةً فَيَنَالَانِ مِنْ فَضْلِ طَعَامِهِ، وَقَدْ كَانَ ضَمَّ إِلَى زَوْجِ أُخْتِي رَجُلَيْنِ، فَلَمَّا قَرَعْتُ الْبَابَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: عُمَرُ. فَتَبَادَرُوا فَاخْتَفَوْا مِنِّي، وَقَدْ كَانُوا يَقْرَأُونَ صَحِيفَةً بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تَرَكُوهَا أَوْ نَسَوْهَا، فَقَامَتْ أُخْتِي تَفْتَحُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا، أَصْبَوْتُ. وَضَرَبْتُهَا بِشَيْءٍ فِي يَدِي عَلَى رَأْسِهَا، فَسَالَ الدَّمُ وَبَكَتْ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْخَطَابِ مَا كُنْتَ فَاعِلاً فَاغْفَلُ فَقَدْ صَبَوْتُ. قَالَ: وَدَخَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى السَّرِيرِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الصَّحِيفَةِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا نَاوَلْنِيهَا. قَالَتْ: لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا، أَنْتَ لَا تُطَهَّرُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَهَذَا كِتَابٌ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. فَمَا زِلْتُ بِهَا حَتَّى نَاوَلْتَنِيهَا، فَفَتَحْتَهَا، فَإِذَا فِيهَا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِاسْمِ مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُعِرْتُ مِنْهُ، فَالْقَيْتُ الصَّحِيفَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَتَنَاوَلْتَهَا، فَإِذَا فِيهَا ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد] فَذُعِرْتُ، فَقَرَأْتُ إِلَى ﴿أَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَخَرَجُوا إِلَيْهِ مُتَبَادِرِينَ وَكَبَّرُوا، وَقَالُوا: أَبَشِّرْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اعِزَّ دِينَكَ بِأَحِبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ إِمَّا أَبُو جَهْلٍ وَإِمَّا عُمَرُ»، وَدَلُّونِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِ بَأْسْفَلِ الصَّفَا، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَرَعْتُ الْبَابَ، فَقَالُوا: مَنْ؟ قُلْتُ: ابْنُ الْخَطَابِ، وَقَدْ عَلِمُوا شِدَّتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا اجْتَرَأَ أَحَدٌ يَفْتَحُ الْبَابَ، حَتَّى قَالَ: «افْتَحُوا لَهُ». فَفَتَحُوا لِي، فَأَخَذَ رَجُلَانِ بَعْضُدي، حَتَّى أَتَيْتُ بِي النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: خَلُّوا عَنْهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِمَجَامِعِ قَمِيصِي وَجَذَبَنِي إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَسْلِمَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ، اللَّهُمَّ اهْدِهِ». فَتَشْهَدْتُ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سَمِعْتُ بِفِجَاجِ مَكَّةَ، وَكَانُوا مُسْتَحْفِينِ، فَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَرَى رَجُلًا يَضْرِبُ وَيُضْرَبُ إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا يُصَيِّبُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَجِئْتُ

خالي^(١) وكان شريفاً، ففرعتُ عليه الباب، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: ابن الخطاب وقد صبوتُ. قال: لا تفعل. ثم دخل وأجاف الباب دوني. فقلتُ: ما هذا شيء. فذهبتُ إلى رجلٍ من عظماء قريش، فناديته، فخرج إليّ، فقلتُ مثلَ مقالتي لخالي، وقال لي مثلَ ما قال خالي، فدخل وأجاف الباب دوني فقلت: ما هذا شيء، إنَّ المسلمين يُضربون وأنا لا أضرب، فقال لي رجلٌ: أتحبُّ أن يُعلم بإسلامك؟ قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس في الحجر فأت فلاناً - لرجلٍ لم يكن يكتُم السرَّ - فقلْ له فيما بينك وبينه: إني قد صبوتُ، فإنه قلماً يكتُم السرَّ. فجئتُ، وقد اجتمع الناس في الحجر، فقلتُ فيما بيني وبينه: إني قد صبوتُ. قال: أو قد فعلت؟ قلتُ: نعم. فنادى بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ، فبادروا إليّ، فما زلت أضربهم ويضربوني، واجتمع عليّ النَّاسُ، قال خالي: ما هذه الجماعة؟ قيل: عمر قد صبأ، فقام على الحجر، فإشار بكُمه: ألا إني قد أجزتُ ابن أختي، فتكشّفوا عني، فكنْتُ لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين يَضْرِبُ ويضْرَبُ إلا رأيتُه، فقلت: ما هذا شيء حتى يصيني، فأتيتُ خالي فقلت: جوارك ردّ عليك، فما زلتُ أضرب وأضرب حتى أعزَّ الله الإسلام.

ويروى عن ابن عباس بإسنادٍ ضعيف، قال: سألتُ عمر، لأيّ شيء سُميتُ الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام، فخرجتُ إلى المسجد، فأسرع أبو جهلٍ إلى النبي ﷺ يسبه، فأخبر حمزة، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد، إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل، فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل، فنظر إليه، فعرف أبو جهل الشَّرَّ في وجهه، فقال: ما لك يا أبا عُمارة؟ فرفع القوسَ فضرب بها أذنيه^(٢)، فقطعه

(١) على هامش الأصل: خاله أبو جهل.

(٢) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق.

فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريشُ مخافة الشرِّ، قال: ورسولُ الله ﷺ
مخْتَفٍ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيِّ، فَانْطَلَقَ حَمْزَةً فَأَسْلَمَ.
وخرجتُ بعده بثلاثة أيام، فإذا فلانُ المخزومي فقلت: أَرغِبْتَ عَن دِينِ
أَبَائِكَ وَاتَّبَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: إِنَّ فَعَلْتُ فَقَدْ فَعَلَهُ مِنْ هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكَ
حَقًّا مِنِّي، قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَخْتِكَ وَخَتْنِكَ. فَانْطَلَقْتُ فَوَجَدْتُ
هَمِيمَةً، فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَمَا زَالَ الْكَلَامُ بَيْنَنَا حَتَّى أَخَذْتُ بِرَأْسِ
خَتْنِي فَضْرَبْتُهُ وَأَدْمَيْتُهُ، فَقَامَتْ إِلَيَّ أُخْتِي فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، وَقَالَتْ: قَدْ
كَانَ ذَلِكَ عَلَيَّ رَغْمَ أَنْفِكَ. فَاسْتَحْيَيْتُ حِينَ رَأَيْتُ الدَّمَاءَ، فَجَلَسْتُ
وَقُلْتُ: أُرُونِي هَذَا الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. فَقَمْتُ
فَاغْتَسَلْتُ، فَأَخْرَجُوا إِلَيَّ صَحِيفَةً فِيهَا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قُلْتُ:
أَسْمَاءٌ طَيِّبَةٌ طَاهِرَةٌ ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه]، فَتَعَزَّطْتُ فِي صَدْرِي، وَقُلْتُ: مِنْ هَذَا فَرَّتْ
قَرِيشٌ. فَأَسْلَمْتُ، وَقُلْتُ: أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَإِنَّهُ فِي دَارِ
الْأَرْقَمِ. فَأَتَيْتُ فَضْرَبْتُ الْبَابَ، فَاسْتَجْمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةٌ: مَا
لَكُمْ؟ قَالُوا: عَمْرٌ. قَالَ: وَعَمْرُ! افْتَحُوا لَهُ الْبَابَ، فَإِنْ أَقْبَلَ قَبِلْنَا مِنْهُ،
وَإِنْ أَدْبَرَ قَتَلْنَاهُ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَتَشَهَّدَ عَمْرٌ، فَكَبَّرَ
أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى
الْحَقِّ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَفِيمَ الْإِخْتِفَاءُ. فَخَرَجْنَا صَفَيْنَ أَنَا فِي
أَحَدِهِمَا، وَحَمْزَةٌ فِي الْآخَرِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَنَظَرَتْ قَرِيشُ إِلَيَّ
وَإِلَى حَمْزَةٍ، فَاصَابَتْهُمُ كَأَبُ شَدِيدَةٌ، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْفَارُوقُ)
يَوْمئِذٍ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وقال الواقدي: حدثنا محمد بن عبد الله، عن الزُّهري، عن ابن
المسيب، قال: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة، فلما أسلم
ظهر الإسلام بمكة.

وقال الواقدي: حدثنا مَعْمَرُ، عن الزُّهري أنَّ عمر أسلم بعد أن دخل النبي ﷺ دار الأرقم، وبعد أربعين أو نيِّفٍ وأربعين من رجال ونساء، فلما أسلم نزل جبريل فقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وقال يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق: كان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خرج من الصحابة إلى الحبشة. فحدثني عبدالرحمن بن الحارث^(١)، عن عبدالعزيز ابن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمه ليلي، قالت: كان عمر من أشدَّ الناس علينا في إسلامنا، فلَمَّا تهيأنا للخروج إلى الحبشة، جاءني عمر، وأنا على بعير، نريد أن نتوجَّه، فقال: إلى أين يا أمَّ عبدالله؟ فقلت: قد آذيتُمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤذَى في عبادة الله. فقال: صَحِّبْكُمْ اللهُ، ثم ذهب، فجاء زوجي عامرُ بنُ ربيعة فأخبرته بما رأيت من رِقَّةِ عمر بن الخطاب، فقال: ترجين أن يُسلم؟ قلت: نعم. قال: فَوَاللَّهِ لا يُسلم حتى يُسلمَ حِمَارُ الخطاب. يعني من شدَّته على المسلمين.

قال يونس، عن ابن إسحاق: والمسلمون يومئذٍ بضعٌ وأربعون رجلاً، وإحدى عشرة امرأة^(٢).

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٣٤٢-٣٤٣.
(٢) كتب على هامش الأصل: «بلغت قراءة».